# النقد عند الفلاسفة المسلمين

## ابن سينا

تعرفنا في المحاضرات السابقة إلى النقد اليوناني ، و خلصنا إلى أنه كان مرتبطا أشد الارتباط بالفلسفة ، و أن هذا النهج الفلسفي امتدت تأثيراته إلى الأمم الأخرى ، و من بينها الأمة العربية في أزهى عصور إبداعها ، العصر العباسي.هذا الأخير الذي تمخض فأنجب فلاسفة لم يحصروا مجال اشتغالهم في حقل واحد ، بل تجاوزوه إلى علوم أخرى ، فشكلت الفلسفة عندهم الرحم الذي تولدت فيه النظرية النقدية . و لعلنا نعني في هذا السياق كبار فلاسفة العصر العباسي(ابن سينا ، الكندي ، الفارابي) الذين اشتغلوا على قراءة "فن الشعر" و تلخيصه منذ أن ترجمه بشر بن متى سنة 328هـ ، فلا عجب بعدها أن نجدهم جميعا يكررون مصطلحات المحاكاة و التخييل . و سنقف فيما يأتي عند كل واحد منهم على حدة.

-**ابن سينا:** (370هـ-427هـ، 980م-1037م) تتجلى معالم النظرية النقدية عند الفيلسوف ابن سينا من خلال خوضه في تفسير العملية الإبداعية عند الشاعر. فهو -منذ البدء- يتجاوز المفهوم العربي المعهود للشعر و الذي مداره أن هذا الأخير هو الكلام الموزون المقفى الدال على معنى ، ليضع مفهوما جديدا له بقوله :" الشعر هو كلام **مخيل** مؤلف من أقوال موزونة متساوية عند العرب مقفاة و معنى كونها موزونة أن يكون لها إيقاع و معنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال إيقاعية و معنى كونها مقفاة هو أن يكون الحرف الذي يختم به كل قول منها واحدا ، **و إنما ينظر المنطقي في الشعر من حيث هو مخيل**"() و لعل القارئ يلاحظ استعمال مصطلح جديد "مخيل" في وصف الكلام الشعري ، و على الرغم من أن ابن سينا لم ينكر الوزن و القافية إلا أنه لم يعتبرهما الأصل في تعريف الشعر ، بل إن المنطق يستوجب النظر في جانب التخييل بوصفه أهم ركيزة في اعتبار الكلام كلاما شعريا. ثم إن التأثير في المتلقي يحصل عبر "حسن" التخييل ، و ليس لأن الشاعر التزم الوزن و القافية " و المخيل هو الكلام الذي تذعن له النفس ، فتنبسط عن أمور و تنقبض عن أمور من غير روية و فكر و اختيار ، و بالجملة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري سواء كان المقول مصدقا به أو غير مصدق "() و فكرة التخييل هذه عُدت معيارا بالنسبة لابن سينا للتمييز بين الأجناس الأدبية من فنون خطابية و نثرية ، يقول :"الشعر يستعمل التخييل و الخطابة تستعمل التصديق"()

و أثناء توسع ابن سينا في شرح تفاصيل التخييل يرد مرارا مصطلح أفلاطون و أرسطو "المحاكاة" ، حيث يعرف هذه الأخيرة بأنها " إيراد مثل الشيء و ليس هو هو ، فذلك كما يحاكى الحيوان الطبيعي بصورة هي في الظاهر كالطبيعي ، و لذلك يتشبه بعض الناس في أحواله ببعض ، و يحاكي بعضهم بعضا ، و يحاكون غيرهم" () د.ألفت و ابن سينا يقدم هنا بعض أوجه المحاكاة و أمثلتها ، و يقرّ بما أقره أرسطو من أن كل الفنون – و الشعر واحد منها– تقوم على مبدأ المحاكاة ، و المحاكاة عند ابن سينا–كما عند أرسطو– لا تعني النقل المرآتي (إيراد مثل الشيء و ليس هو هو) ، بل إن الشاعر ينطلق من عقد المشابهات بين الأشياء لكنه يخلق في النهاية صورة أخرى، فالشعر في النهاية " نشاط تخييلي و ليس عقليا، و من تم فليس هنا ما يدعو إلى أن يطابق الواقع أو الحقيقة حرفيا"()د.ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد ، ص103.و كما فسر ابن سينا طبيعة الشعر في ضوء المحاكاة الأرسطية ، سيتحدث عن وظيفة الشعر غير متحرر تماما من ذلك التأثير، فيقف مطولا عند مسألتي اللذة و الفائدة . فأما اللذة فيقصد بها أن الشعر قد يكون ذا فائدة جمالية محضة ، و قد يكون ذا فائدة مدنية(أي يؤدي وظيفة اجتماعية و أخلاقية و فكرية) ، يقول " والشعر قد يقال للتعجيب وحده ، و قد يقال للأغراض المدنية ، و على ذلك كانت الأشعار اليونانية "() و الشعر الجيد برأي ابن سينا هو الذي يحدث بين اللذة و المنفعة ، فالمحاكاة التي لا تنطوي على مدح أو ذم هي نوع من العبث و " كل محاكاة إما أن يُقصد بها التحسين و إما أن يقصد بها التقبيح ، فإن الشيء إنما يحاكى ليحسن أو يقبح ،و الشعر اليوناني إنما كان يقصد فيه في أكثر الأمر محاكاة الأفعال و الأحوال لا غير ، و أما الذوات فلم يكونوا يشتغلون بها أصلا كاشتغال العرب ، فإن العرب كانت تقول الشعر لوجهين : أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور ، و الثاني للعجب فقط فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه ، و أما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا بالقول على فعل أو يردع بالقول عن فعل"() و على هذا النحو تتحدد غاية الشعر عند ابن سينا بالحث على الفضيلة و ردع الرذيلة ، ذلك أن الشعر خطاب نوعي يحقق ما لا تحققه الخطابات الدينية و الأخلاقية المباشرة ، بحكم تلذذ الناس الفطري بالمحاكاة.